شاعر القرار 194

معن البياري

من أين تأتّى للشاعر الفلسطيني، هارون هاشم رشيد، كل ذلك الفائض من الثقة، وتلك المقادير الباهظة بالزهو بالنفس، والامتلاء بالذات، وهو يكتب في مطالع خمسينيات القرن الماضي، في قصيدة سمّاها «أنشودة العودة» أخي والخيمة السوداء، قد أمست لنا قبراً/ غداً سنحيلها روضا ونبني فوقها قصرا .. ستعلو صيحة الأحرار يوم نعاود الثارا/ وتمضي جحافل الرعب إن برا وإن بحرا.. يعنّي تلك القصيدة العتيقة، في زمنها، محمد فوزي، بلحن متقشف، ولم يُسعفه صوته الهادئ السمت في إشاعة «الوثوقية» التي أرادها هارون هاشم رشيد، ولكن أصوات جوقةٍ صاحبت صوت فوزي ساعدته في هذا، سيما وأن الأغنية تختتم بأن «فلسطين التي ذهبت سنرجع مرة أخرى»، ومعلوم أن فلسطين هنا هي الأرض التي احتلت في 1948. حال فايدة كامل أفضل نسبيا مما بدا عليه فوزي، وهي تؤدّي قصيدة «لن ينام الثار»، وقد تألفت الصيحة الظاهرة هنا مع التنغيمة الجيّدة في الأغنية، مع أصوات جوقة قليلة العدد في الدقائق الخمس (إلا قليلا) للإغنية التي تخير سامعيها في مطلعها: لن ينام الثار في قلبي وإن طال مداه/ لا ولن يهدأ في قلبي لظاه.. وختمها هارون هاشم رشيد: لن ينام الثار في صدري وإن طال مداه/ لن ينام لا لن ينام.

الأغنيتان اشتملتا من 90 قصيدة للشاعر الراحل، أول من أمس، في مغتربه الأخير في كندا، انكتب أن مغنين أدّوها، وإنْ يشك صاحب هذه الكلمات بهذا العدد، وفي الأرشيف أن محمد قنديل غنّى «أحبك يا قدس» وكارم محمود غنّى «فلسطين» وطلال مدّاح غنّى «جراح القدس»، غير أن الأشهر هي «سنرجع يوما إلى حينا ..»، ما قد يعود إلى أداء فيروز لها، بصوتها الأخّاذ، وإلى جودة أفضل في كلماتها ومقاطعها، فضلا عن اللحن الرحباني البديع لها، ويمكن أن يُضاف التصوير التلفزيوني لها، بالأبيض والأسود، فيروز شابة بمنديل وزي فلسطينيين. يحضر الشعر في هذه القصيدة بمنسوبٍ أنضج من الولاتي أنّاها قنديل وفوزي وقايدة كامل وغيرهم. وقد حافظ هارون هاشم رشيد (أبو أمين ومأمون، كما الخليفة العباسي) هنا، كما رأيه في قصائد بلا عدد في مجموعاته العشرين، على العودة إلى فلسطين حقيقةً مؤكّدة، وقد قال: يعزّ علينا أن تعود/ رفوف الطيور ونحن هنا .هنالك عند التلال تلالُ/ تنام وتصحو على عهدنا .. وإذا كانت هذه القصيدة قد نسبها متعجلون في مواقع إلكترونية إلى الأخوين رحباني، فربما يعود هذا إلى «أجواء رحبانية» فيها، وعلى أي حال، هذه الفعلة أقل إثما مما اقترفه معمر القذافي في أطلالته عند باب العزيزية في طرابلس، لمّا توعد وهدد، وأجرى على لسانه في خطبته تلك، أنا لن أخاف من العواصف وهي تجتاح المدى.. من دون أن ينسب العبارة إلى صاحبها، هارون هاشم رشيد، في قصيدة قديمة له، لم يتخيل يوما أن شيئا منها سيُستعمل في مشهد بالغ الكاريكاتورية، فذافيٌّ، ركيك.

وهذا مقطع كاريكاتوري مستجد، متصل بالشاعر الذي مضى إلى ربه عن 93 عاما، يتبدّى في نعي ما يسمى التيار الإصلاحي الديمقراطي في حركة فتح، نشره رئيس هذا التيار، محمد دحلان، وفيه يتعهد الناعون بأن يحفظوا إرث الراحل، الأدبي والنضالي، وأن «يواصلوا المسيرة التي بدأها ورفاقه في ترسيخ هويتنا». والخوف كل الخوف أن يفعلها هؤلاء ويصدّقوا أنهم على المسيرة نفسها. أما وأن الأوساط الفلسطينية، الرسمية والأهلية، استرسلت نهار أمس في تزجية المراثي في صاحب «مزامير الأرض والدم»، فذلك طبيعي، وفي البال أن منظمة التحرير لم تقصّر مع الرجل، وقد كرّمته في عدة مناسبات، غير أن الأطيب أن تُحمى في الوجدان الفلسطيني العام تلك الروح العالية الثقة بالعودة إلى كل فلسطين، والتي ظلت تقيم في هارون هاشم رشيد، كما عبر عنها في نصوص غزيرة، منها ما يُطالَع في مناهج دراسية في غير بلد عربي، وهذا حسن. ومن شديد الأهمية أن يبقى اسمُه محميا من الإهمال والنسيان، وهو الذي استحق عدة ألقاب خلعت عليه، شاعر العودة، شاعر النكبة، شاعر الثورة، وهذا صديقنا الشاعر غازي الذيبة يسمّيه أمس شاعر اليرغول الفلسطيني، وكان لقبا نابها ذلك الذي أداعه صديقنا الشاعر عز الدين المناصرة عنه شاعر القرار 194 (قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بعودة اللاجئين الفلسطينيين).

محاكمة الفلسطيني

منذر الحوارات

أفاق الشعب الفلسطيني، خلال النصف الأول من القرن العشرين، على نفسه، وإذا باسم بلاده يتغير من فلسطين إلى إسرائيل، ويتغير تاريخه الذي عرفه آلاف السنين إلى آخر صنع بالأمس، بعملية قسرية لوت عنق الحقائق بشكل زائف، ووجد هذا الشعب نفسه يخوض صراعاً على وجوده المكاني، وهويته وانتمائه، كان ميزان الصراع مختلاً من بدايته، حيث كان الإسرائيلي متسلحاً بدعم الدنيا الفاعلة والقوية (الغرب)، فقدّموا له الدعم الدعائي والمالي والعسكري والتسهيلات على الأرض، بينما كان الفلسطيني أسيراً للقوة الاستعمارية آنذاك، مقطوع الأوصال عن محيطه العربي. وفي الداخل، كان فقيراً محاصراً بقوة بريطانيا المستعمِرة، فحرمته من السلاح، ومن المقدرة الفعلية على المواجهة. وفي خضم تلك الخيارات الصعبة، خضع الفلسطيني لمساومة قاسية على حياته وكرامته مقابل المغادرة، فقد قامت المنظمات الإرهابية الصهيونية بالقتل والتهجير والاغتصاب بدمٍ بارد. كانت الخيارات محدودة، وحينما هلّت بوادر التدخل والفزعة العربية في العام 1948، اعتقد الفلسطينيون أن الفرج قد لاح. وبسبب افتقارهم الخبرة في مواجهة صراع كهذا، قرّر كثيرون مغادرة المكان، تجنباً لتعرّضهم لعمليات انتقام بعد أن تُحقق الجيوش العربية الانتصار في الحرب، فكانت الهزيمة.

انكسرت الجيوش الضعيفة، وكانت الهزيمة المؤلمة التي كشفت عن حجم الهوّة والفارق بين هذه الجغرافية المترامية الأطراف، والتي كانت تتمترس خلف قناعة مترسخة، فحواها أن شعوبها هي سليلة الحضارة العربية الإسلامية التي غطت إشعاعاتها أصقاع الأرض، وبالتالي فإن نصرها أمرٌ محتومٌ، لا مناص منه، ولا يفصلها عنه سوى اللحظة التي سيطلقون الطلقة الأولى. ولهول المفاجأة وأمام مجموعة من العصابات مؤلفة من بضعة آلاف، سقط الوهم، وأطلقت منذ حينها حشرجة الأنا المهزومة في نفس كل عربي، سواء على الصعيد الإنساني الاجتماعي، وكذلك السياسي الرسمي. ومن جهةٍ أخرى، دُشنت وأطلقت للإنسانية معاناة شعب، ربما لم تشهد القرون الأخيرة مثيلاً لها. دفع صخب الهزيمة مئات الآف فلسطينيين للهرب نجاةً بحياتهم وشرفهم، بعد أن أيقنوا أن هؤلاء المحتلين هزموا كل العرب مجتمعين، فهل لهم بعد ذلك القدرة على مواجهتهم وحدهم، فاثروا الرحيل يحملون معهم الخيبة والألم، ويكمرون على جرحهم الغائر محاولين البدء من جديد، فحمل ذلك الفلسطيني الذي أصبح لاجئ الفلسطيني، كل ذكرياته وماضيه ومفتاح بيته في حقيبة خاصة، لن تطاولها السنوات المقبلة، على أمل العودة يوماً ما، فهذا الفلسطيني تحت الخيمة، هو عائلته، كان بالأمس القريب مكتفياً بذاته، فربما كان فلاحاً تملأ حاكورته بيته المؤونة الدنيا، او عاملاً في حرفة او صناعة، او بقالاً وربما مختاراً أو ابن عائلة ميسورة، كل هذه المسميات والحالات اختفت، وحل مكانها لقب لاجئ في خيمة حقيرة، تتلطخ قناعة مترسخة، فحواها أن شعوبها هي سليلة الحضارة العربية الإسلامية التي غطت إشعاعاتها أصقاع الأرض، وبالتالي فإن نصرها أمرٌ محتومٌ، لا مناص منه، ولا يفصلها عنه سوى اللحظة التي سيطلقون الطلقة الأولى. ولهول المفاجأة وأمام مجموعة من العصابات مؤلفة من بضعة آلاف، سقط الوهم، وأطلقت منذ حينها حشرجة الأنا المهزومة في نفس كل عربي، سواء على الصعيد الإنساني الاجتماعي، وكذلك السياسي الرسمي. ومن جهةٍ أخرى، دُشنت وأطلقت للإنسانية معاناة شعب، ربما لم تشهد القرون الأخيرة مثيلاً لها.

دفع صخب الهزيمة مئات الآف فلسطينيين للهرب نجاةً بحياتهم وشرفهم، بعد أن أيقنوا أن هؤلاء المحتلين هزموا كل العرب مجتمعين، فهل لهم بعد ذلك القدرة على مواجهتهم وحدهم، فاثروا الرحيل يحملون معهم الخيبة والألم، ويكمرون على جرحهم الغائر محاولين البدء من جديد، فحمل ذلك الفلسطيني الذي أصبح لاجئ الفلسطيني، كل ذكرياته وماضيه ومفتاح بيته في حقيبة خاصة، لن تطاولها السنوات المقبلة، على أمل العودة يوماً ما، فهذا الفلسطيني تحت الخيمة، هو عائلته، كان بالأمس القريب مكتفياً بذاته، فربما كان فلاحاً تملأ حاكورته بيته المؤونة الدنيا، او عاملاً في حرفة او صناعة، او بقالاً وربما انتظر الفلسطينيون بعد ذلك في كل مكان، وتوالت الهزائم، واستُخدموا شماعة للنظام الرسمي العربي، لتعطل الحياة الطبيعية، فتغذت الدكتاتوريات من علقم الهزيمة المُر، فبدل أن تستخدم صدمة تنعش القلب الميت لهذا الفضاء الجغرافي، استُغلت بشتى الأشكال لتبقى على النظم المستبدة، لكن الفلسطيني استطاع النهوض، وبناء ذاته، وفجأة أصبح علامة فارقة في علمه ومكانته اينما حلّ، لكن الواقع العربي استمر في إلحاق الهزيمة به، إذ فجأة تحوّلت إسرائيل إلى كيان طبيعي، وابتدأت عملية سلام معها، ترجمت على الطاولة هزائم الأرض، إلى أن وصل الأمر إلى تكرار هزيمة العام 1948 العسكرية. ولكن الهزيمة، هذه المرّة، أخذت الإطار الدبلوماسي، حينما ركلت اسرائيل مبادرة السلام العربية التي أطلقت في بيروت في العام 2002، إذ بالنسبة لها، وبموجب حقائق الأرض، ليس من حق المهزوم تقديم المبادرات، بل تلقي الإملاءات. وهنا بدأت لحظة الانتقام من الفلسطيني، فأراد الجميع مداراة سوءاتهم به، فالنظام العربي الرسمي استخدم شماعة الفلسطيني، ليغطي دكتاتوريته وفشله السياسي في التنمية، وانتظر الفلسطينيون بعد ذلك في كل مكان، وتوالت الهزائم، واستُخدموا شماعة للنظام الرسمي العربي، لتعطل الحياة الطبيعية، فتغذت الدكتاتوريات من علقم الهزيمة المُر، فبدل أن تستخدم صدمة تنعش القلب الميت لهذا الفضاء الجغرافي، استُغلت بشتى الأشكال لتبقى على النظم المستبدة، لكن الفلسطيني استطاع النهوض، وبناء ذاته، وفجأة أصبح علامة فارقة في علمه ومكانته اينما حلّ، لكن الواقع العربي استمر في إلحاق الهزيمة به، إذ فجأة تحوّلت إسرائيل إلى كيان طبيعي، وابتدأت عملية سلام معها، ترجمت على الطاولة هزائم الأرض، إلى أن وصل الأمر إلى تكرار هزيمة العام 1948 العسكرية. ولكن الهزيمة، هذه المرّة، أخذت الإطار الدبلوماسي، حينما ركلت اسرائيل مبادرة السلام العربية التي أطلقت في بيروت في العام 2002، إذ بالنسبة لها، وبموجب حقائق الأرض، ليس من حق المهزوم تقديم المبادرات، بل تلقي الإملاءات. وهنا بدأت لحظة الانتقام من الفلسطيني، فأراد الجميع مداراة سوءاتهم به، فالنظام العربي الرسمي استخدم شماعة الفلسطيني، ليغطي دكتاتوريته وفشله السياسي في التنمية، والمواطن العربي استخدمها ليتوارى خلفها عن فشله في تتبع مسيرة الأمم الناهضة.

> أحلت أنظمة ونخب عربية وجود إسرائيل، وهشّمت أسس الفلسطيني وشيطنته، وقوّضت أركان حقوقه

أشعلت صحف ومواقع للتواصل الاجتماعي حملة موجهة، فجأة غلقت على مشجّب الفلسطيني كل مآسي العرب، فهو من خرّب المنطقة، وأشعل فيها الحروب، وكان سبباً في تخلفها، وتناست هذه الزمرة أن الفلسطينيين هم من احتلت أرضهم عصابات هجينة سبّبت الخراب، وأنهم هم فقط الضحايا. وبرزت زعومة أن الفلسطيني باع أرضه. وتسقط هذه فوراً أمام رحلةٍ صاخبة وقاهرة من المعاناة عاشها الفلسطيني، إما تحت الخيمة أو في ظل الفقر والحرمان، أو في بلاد اللجوء تحت مسمى لاجئ، كما أشاع من أشاع أن الفلسطينيين هم سبب الحروب الأهلية في دول عربية عديدة، ويتناسى هؤلاء أن الفلسطينيين انما استخدموا أدوات في تلك الصراعات، ولأنهم الطرف الأضعف كان قبولهم أو رفضهم الانخراط في تلك الصراعات ليس مرهوناً بهم وحدهم، بل بفرص بقائهم في تلك الدول من عدمه. ويقال أيضا إن الفلسطينيين يكرهون العرب، ولا أستطيع أن أجد شعباً علق آماله ومستقبله على العرب، مثل الفلسطينيين. ويقال إنهم لا يستطيعون الاتفاق بينهم على كلمة سواء تجمعهم، وهذا طبيعي، فالنخبة السياسية الفلسطينية جزء من المنظومة العربية التي امتهنت الاستحواذ بالرأي ورفض الآخر، فلا يُحمّل ذلك للفلسطيني. ومن الطبيعي أن الفلسطينيين ارتكبوا أخطاء عديدة، وبعضها قاتل، لكن هذا لا يجب أن يكون سبباً في جعلهم هدفاً للعنصرية والاستهداف.

قد يسأل سائل: لماذا تظهر كل هذه الاتهامات والعنصرية تجاه الفلسطيني؟ لهزيمة النظام العربي، الرسمي والشعبي، في مجالات كثيرة، إن لم أقل في أغلبها دور رئيسي في ذلك، فقد فشل في التنمية، ووجد نفسه أمام أرضهم عصابات هجينة سبّبت الخراب، وفشلت الشعوب في التعبير عن نفسها من خلال أنظمة ديمقراطية، واللحاق بالتالي بركب التحضّر، كما أن ازدياد هيمنة إسرائيل وقوتها وتطورها جعل الجميع يدرك حجم الخيبة التي نعاني منها. ولأن نُظما رسمية كثيرة، حماية لذاتها، قرّرت أن تتكئ في تلك الحماية على الولايات المتحدة، وهذه مشروطة بعلاقات حسنة وعادية مع إسرائيل، كان مُقدّراً على الفلسطيني أن يكون الضحية مرتين. في الأولى، حينما تم استخدام قضيته شمّاعة يُعلق عليها الاستبداد والحرمان من التنمية، واستمرار الحال البائس للدول العربية. والثانية حينما فقد ذلك النظام أي إمكانية للاستمرار في اللعبة القديمة للبقاء، فاستخدم القضية الفلسطينية لإرضاء إسرائيل، ولاستمالة الولايات المتحدة، لحماية نظم متهالكة، فقدت مبرّرات وجودها. ولكن هذه المرة يُضحّى بالفلسطيني بذاته، إذ أصبح الإرهابي، الحاقد المدمر، سبب الخراب والبلاء، وتحولت إسرائيل حمامة سلام، تنشر الأمن والاستقرار في المنطقة، فيما هي سبب كل بلاء.

هذا السلوك العربي شديد الخطورة، فبعد حين ستصحو المنطقة العربية وقد فقدت كل إمكانية للعودة إلى ساحة الصراع، ومحاولة أخذ زمام المبادرة، فقد أحلت أنظمة ونخب عربية وجود إسرائيل، وفي الوقت نفسه، هشّمت أسس الفلسطيني وشيطنته، وقوّضت أركان حقوقه، بنزع شرعيته التاريخية على أرضه وتاريخه، وبالتالي مستقبله. بعد ذلك، هل على الفلسطيني أن يبقى حمامة السلام؟ ما الذي سيمنعه حينها أن يُفجر ذاته والمنطقة، إذا كان قد فقد كل شيء، وبواسطة أبناء جلدته وبأيديهم، وهل بعد اليأس خيارات؟

(كاتب أردني)

في حاجة ليبيا إلى توافقات دولية

عبد الباسط سيدا

ما تعيشه منطقتنا راهناً هو واقع أقرب ما يكون إلى حربٍ عالمية بمقاييس محلية، إذ صح التعبير، تشارك فيها القوى الدولية والإقليمية الأساسية. وما تتسم به هذه الحرب، مقارنة بغيرها، أنها تتم بالوكالة، وتعتمد على الجيوش غير النظامية، والمليشيات المحلية التي ترتكب كل الانتهاكات من دون أي محاسبة، مقابل التزامها بالمهام المطلوبة منها. وتحقق هذه السمة للقوى الدولية والإقليمية المعنية أهدافاً عدة في الوقت ذاته، فهي أقل كلفة، خصوصا على صعيد العنصر البشري، ولا تحمّلها مسؤولية أخلاقية، على الرغم من أن الأخيرة قد باتت عديمة المعنى والجدوى أمام المصالح العارية لشركات السلاح والمافيات المتعدّدة الجنسيات؛ وأمام الحسابات الخاصة بالدول الكبرى التي تتحاشى الاصطدام المباشر. لذلك يبقى تصارع هذه الدول وتنافسها مقصوراً على المنطقة الغنية بثرواتها، المتخلفة باقتصاداتها وفساد إداراتها، ويؤس شعوبها. وطالما أن هذه الحرب لا تكلف الدول المعنية، لا سيما الولايات المتحدة الأميركية وروسيا الاتحادية وتركيا، الضحايا البشرية، ولا تلزم دافع الضريبة، خصوصا في الولايات المتحدة، بتحمّل نفقات هذه الحرب التي تستخدم لضبط المعادلات، وتعزيز المواقع، استعداداً للتطوّرات والمتغيرات المستقبلية؛ فإن الحسابات الانتخابية لن تتأثر بها، وبالتالي لن تكون هناك خشية من أن تتأثر الخطط والحسابات العسكرية بضغوط الرأي العام.

يؤكد ما يجري اليوم على الأرض الليبية صحة التوقعات التي كانت قبل نحو عشر سنوات؛ أي منذ بدايات الثورة السورية، مارس/ آذار 2011، فقد كان الاعتقاد أن سورية ستكون مركز التنافس والصراع بين القوى الدولية والإقليمية، لأنها دولة مفتاحية في المنطقة؛ فهي تتشارك بحدود برية طويلة مع كل من تركيا والعراق في الشمال والشرق. وفي الغرب تحيط بلبنان من جميع الأنحاء مما عدا جهة البحر. وفي الجنوب هناك الأردن و«إسرائيل». وكان من الواضح، ومنذ اليوم الأول، أن الأخيرة لن تسمح بأي تغيير نوعي يهدّد أمنها الراهن والمستقبلي المحتمل، وإن هذا الموقف الإسرائيلي المتشدّد كان بالتنسيق والتفاهم مع الحليف الاستراتيجي، الولايات المتحدة. وكان هذا الشرط هو الركيزة التي استند إليها التفاهم الروسي الأميركي الإسرائيلي الذي فتح الطريق أمام القوات الروسية للتدخل بقوة، خصوصا عبر سلاح الجو، في معركة النظام على السوريين المناهضين لحكم الاستبداد والفساد. أما النظام الإيراني فقد استثمر كثيراً في علاقته مع النظام الأسدي بمرحلتيه؛ واعتبر سورية عقدة المواصلات الأساسية في مشروعه التوسعي، الممتد نحو البحر المتوسط. بل أنه اعتبر سورية، باستمرار، القاعدة الأهم في ليبيا، بناء على اعتبارات استراتيجية مفهومة؛ يُلاحظ أن الموقف الألماني هو بين بين، فالألمان ينتقدون الحكومة التركية، ولكنهم يستمرون في اتصالاتهم معها، بحثاً عن إمكانات الوصول إلى مخارج.

> ما يحصل على الأرض الليبية تأكيد للتوقعات التي كانت بشأن مآلات الوضعية السورية

أما بقية الدول الأوروبية فهي مشغولة بأوضاعها الداخلية، في ظل تبعات جائحة كورونا المستمرة، والحسابات الانتخابية. وهذا الاضطراب في الموقف الأوروبي، في جانب منه، هو الحصيلة المنطقية لإخفاق الجهود التي كانت من أجل انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي. وليس سرّاً في هذا المجال أن قوى أوروبية كانت أصلاً ضد دخول تركيا إلى الاتحاد استغلت، وتستغل، موضوع إخفاق الدولة التركية في الوصول إلى اتفاق عادل في القضية الكردية في تركيا، كما أن قضايا حقوق الإنسان التي تُحرّك عادة عند اللزوم كانت من بين الأدوات التي اعتمدتها القوى المعنية.

لدى تركيا اليوم أكثر من خيار، وعلى الأغلب يظل الخيار الأميركي هو الأرجح. أما الخطوات الأخرى الفرعية التي اتخذتها الحكومة التركية، على الصعيدين الداخلي والإقليمي، فهي تندرج ضمن حزمة الإجراءات الرامية إلى تعزيز الجبهة الداخلية، أو بتعبير أدق توسيع القاعدة الشعبية لحزب العدالة والتنمية، وضمان المحافظة عليها. وفي هذا السياق، يشار إلى الهجوم التركي على قواعد حزب العمال الكردستاني في كردستان العراق، وموضوع تحويل متحف آيا صوفيا جامعا، بالإضافة إلى إعادة طرح موضوع الإقليم المتنازع عليه مع أرمينيا، ناغورني قره باخ.

ما نراه في أنه على الرغم من كل حملات الضجيج الإعلامي، لا تبدو في الأفق معطيات واقعية لمثل هذه المواجهة، وإنما هي ضغوط متبادلة، ورسائل داخلية، ومحاولة لتسجيل النقاط على المستويين، الإقليمي والدولي. ولكن في نهاية المطاف، لا بد من مخرج سياسي لكل ما يحصل. والمخرج الأضمن هو الذي يراعي مصالح الليبيين ويحترم تطلعاتهم. ولن يتم هذا من دون توافق الليبيين أنفسهم على مشروع وطني ينقذهم جميعاً. هذا في حين أن العودة إلى العصبيات القبلية، والاستقواء بالخارج، من أجل تحقيق انتصار وهمي على الشقيق الشريك في الوطن والمصير، مؤدّاه فتح البلاد أمام الطامعين من مختلف الجنسيات والتوجهات والمحاور. وليس مستبعداً، في هذه الحالة، أن تتكرر النسخة السورية من ناحية تقسيم البلد إلى مناطق نفوذ، قد تصبح رائز تقسيم مستقبلي لن يكون مطلقاً في مصلحة الليبيين، ولا مصلحة الأمن والاستقرار في الإقليم المغاربي، وحوض البحر المتوسط على نطاق أوسع.

(كاتب سوري)

عزمي بشارة و«الدولة الواحدة»

عيسى الشعيبي

أصدر المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ربيع العام الجاري، مطالعة قيّمة للدكتور عزمي بشارة، «صفقة تنتياهو. ترامب. الطريق الى النص ومنه إلى الإجابة عن سؤال ما العمل؟» (160 صفحة). وكنت، بين كثيرين، ممن قاموا بمراجعةٍ لهذا الإصدار. وعلى ضوء النقاش الدائر حول موضوعة حل الدولة الواحدة أم حل الدولتين، أجد الفرصة للعودة إلى طروحات بشارة الخاصة بسؤال: ما العمل؟ لسببين: أن الكاتب تصدّى مبكراً لتقديم إجابةٍ أحسب أنها تؤسّس لحوار في العمق، تفتحه واسعاً وتثريه بقوة، في هذه المسألة الخلافية، وأن صاحب هذا الطرح ذو تجربة خاصة اكتسبها في ميدان العمل السياسي عن قرب قريب، وانغمس فيها، الأمر الذي يضفي على رؤيته ومداخلاته أهمية استثنائية. والحق أن النقاش حول حل الدولة الواحدة بديلاً لحل الدولتين، المتعثر أكثر فأكثر مع مرور الوقت، ليس جديداً ولا طارئاً، فقد كان محل أخذ ورد داخل أوساط النخبة السياسية الفلسطينية منذ أمد، وإنْ بصوت خفيض، إلا أن زيادة المصاعب والمتاعب، وتعمّق حالة الإحباط والاستعصاء، واشتداد مشاعر الخذلان التي تواجه الحركة الوطنية الفلسطينية، سيما بعد الإعلان عن «صفقة القرن»، دفع هذا النقاش إلى السطح، وصار محل سجال أوسع، الأمر الذي يحمل على استحضار نص عزمي بشارة القيّم.

بعد عرضه مقارباتٍ نظرية مختصرة للمراحل التي أوصلت الكفاح الفلسطيني إلى ما وصل إليه اليوم، يضع بشارة مفاتيح في أقفال أبواب مغلقة على أفكارٍ باتت بالية ومتيبسة، يدعو إلى إجراء المراجعات المعمّقة، ويشخّص الموقف السائد بصوتٍ لا تنقصه الجرأة، ومن ذلك قوله إن الوقت الراهن ليس وقت اقتراح حلول، وإنما وقت صياغة استراتيجية تحرير وتحديد أهداف واقعية، وهذه هي المرحلة المناسبة لوضع خطاب ديمقراطي متماثل مع مفردات التيار الديمقراطي العالمي المناهض للأبرتهايد، خطاب قوامه العدالة والحقوق المدنية والمساواة.

يصارحنا بشارة، وربما يصدم كثيرين بيننا، بقوله إن الواقع الذي ألفناه قد تغير، وأن إسرائيل لا يمكن الانتصار عليها بالقوة العسكرية، وأن عدونا هو التمييز العنصري، والعودة إلى الاستراتيجيات القديمة أمر غير ممكن، بما في ذلك الكفاح المسلح الذي لا يقدم بديلاً ولا يحل مشكلة (مقاومة غزة آلت إلى حالة دفاعية ذات أهداف مطلبية) وإن تفكيك البنية الصهيونية يتطلب انخراط أغلبية اليهود في هذه العملية النضالية الشاقة الصبورة الطويلة، وإن لكل تجمع فلسطيني ظروفاً مختلفة ومطالب متفاوتة ووسائل نضال غير متطابقة بالضرورة، فوق أن فلسطين لم تعد القضية الأولى للحكومات والمواطنين في مشرق العالم العربي ومغربه.

وفيما يحذّر بشارة من محاولات إنشاء منظمة تحرير بديلة أو موازية، ناهيك عن حل السلطة (أول التمثلات الكيانية الفلسطينية) وتسليم المفاتيح للاحتلال، كون ذلك قفزةً في الهواء، وعبثا سياسيا شديدا، يمثل عودة يائسة إلى الوراء، وتخليا عن مؤسسات تمثيلية معترف بها، ينبّه بشارة بالمقابل إلى أن البديل هو الفوضى، أمام مجتمع يهودي منظم ودولة قوية متطوّرة، مشدداً على الحاجة الماسّة إلى وجود إدارة ذاتية مركزية معنية بتعزيز مقومات الصمود والتمكين والتشبيك، وتقديم الخدمات التعليمية والصحية والشرطية والبلدية، على أن تكون منظمة التحرير المغفّلة، وليس السلطة هذه، هي القيادة السياسية للشعب الفلسطيني.

وفي ما يتعلق بحل الدولة الواحدة، يرى عزمي بشارة أن هذا الخيار لا يمكن طرحه الآن على طاولة المفاوضات، وهي غير موجودة أساساً، وأن هذا الحل أصعب تحقيقاً وأقل مقبولية من حل الدولتين، كما أن القبول بفحواه ومغزاه يستبطن بالضرورة الموضوعية اعترافاً متبادلاً، وعلى مضض، بقوميتين أصبحتا غير قادرتين، لعوامل قاهرة، على الانفصال في دولتين، وذلك بعد أن فشلتا معاً، كل واحدة إزاء الثانية، في سعيهما المحموم إلى شطب العدو وإلغائه وإنكار التاريخي بقوة الحديد والنار.

صُفع في مصر

محمد طلبة رضوان

للمرّة الألف، فيديو لعامل مصري يتعرّض للإهانة، والضرب، والصفع. وللمرّة الألف، الجاني عربي، ومكان الجريمة دولة عربية. لم يعد من المجدي التوقف أمام الدلالات الأخلاقية وحدها. العنصريون في كل مكان، المنحطّون في كل مكان، المرضى والمهاويس والحثالة الذين لا يشعرون بقيمتهم إلا حين يهينون من هم أضعف أو أفقر أو أعوز، في كل مكان، في مصر مثل غيرها، وفي مصر قبل غيرها. وسوء معاملة «السادة» المصريين غيرهم من المصريين، عمالا، وخدما، وموظفين، وموظفات، وأطفالا، على اختلاف درجاتهم التعليمية والطبقية، هؤلاء الذين دفعتهم حكوماتهم للعمل في ظروفٍ لا تختلف عن العبودية القديمة سوى في المسمّى، هذا السوء ثابت بالأدلة، المطمورة، والشهود المخروسين، والحكايات المريرة، وإنْ لم يثبت بالفيديوهات، لأن كاميرا المحل ملك لصاحب المحل، وكاميرا الموبايل، مثل صاحب الموبايل، تخشى صاحب المحل، وتُصفع وهي ساكتة.

شاهدت الصفعات الثلاث التي نزلت على ذهول وجه المصري الساكت. أهانته، ولم تنجح في إهانة لا مبالاته، فقد جاء بها من بلاده، ولولا أنه هان في مصر، ما سهل الهوان عليه في الكويت، أو غيرها. شاهدتها، وتألمت مثل ملايين المصريين، إلا أن لا مبالاة الشاب التي أزعجت كثيرين ذكّرتني بحكايات أصحابي الذين «لبسوا جيش»، وتعرّضوا للضرب والإهانة، من دون مبرر، وحين حاول أحدهم الاعتراض سجنوه، وحين حاول آخر أن يفهم أخيره «الصول»، الذي يفتخر بقدرته على صفع المتعلمين وأصحاب الشهادات، أن الجيش تأديب وتهذيب وإصلاح. وأنك لم تأت للتصييف، يا روح أمك، وإذا أردت أن تمر فترة تجنيدك على خير، عليك أن تترك كرامتك على الباب، قبل الدخول، هذا إذا أردت أن تخرج. لا تختلف الصفعة في الكويت عن صفعاتٍ أخرى، تتخذ أشكالا مختلفة، من أصحاب عمل، وأصحاب مناصب، وأصحاب سلطة، وأصحاب نفوذ، وأصحاب أصحاب نفوذ، يصفعون برواتبهم، وأياديهم، وأرجلهم، والسنتهم، وأعضائهم الجنسية، في غياب كامل لدولة تحاسب، وفي حضور كامل لدولة تشارك وتشجع وتحرّض وتبرّر وتشرعن وتقنن، ولولا صفعات متكرّرة في مصر، في كل مرحلة عمرية، وكل محطة مهنية أو وظيفية، لألف، بل ملايين، من المستعبدين، ما اضطروا للقبول بصفعاتٍ أقل، بشروط عبودية أقل، في بلادٍ، كان من المفترض أنها أقلّ، لكنها لم تعد كذلك، والبركة في الزعماء، الملهمين، المنقذين، المفوضين، الذين لا يُسألون عمّ يفعلون، فقد أضاعوا ماء وجوهنا قبل أن يضيّعوا ماء النيل، ويحوّلوه إلى بحيرة إثيوبية، أو بالأحرى صفعة إثيوبية «أخرى» (بضم الهمزة وفتحها). صفعة على وجه السبعة آلاف سنة.

ترافق الألم بالصفعات على وجه المصري «الغليان» بتعليقات من مصريين أكثر «غلبًا»، «ترفض بالتعاطف معه، وتعتبره معدوم الكرامة، لأنه لم يدافع عن نفسه، ولا تجد له مبرّرا، أو عذرا، أو وزنا، أو قيمة. هي في تقديري تعليقات ملّ أصحابها دور الضحية، وقرّروا، بدورهم، أن يمارسوا أنفسهم على مشروع وطني ينقذهم جميعاً. هذا في حين أن العودة إلى العصبيات القبلية، والاستقواء بالخارج، من أجل تحقيق انتصار وهمي على الشقيق الشريك في الوطن والمصير، مؤدّاه فتح البلاد أمام الطامعين من مختلف الجنسيات والتوجهات والمحاور. وليس مستبعداً، في هذه الحالة، أن تتكرر النسخة السورية من ناحية تقسيم البلد إلى مناطق نفوذ، قد تصبح رائز تقسيم مستقبلي لن يكون مطلقاً في مصلحة الليبيين، ولا مصلحة الأمن والاستقرار في الإقليم المغاربي، وحوض البحر المتوسط على نطاق أوسع.

(كاتب سوري)

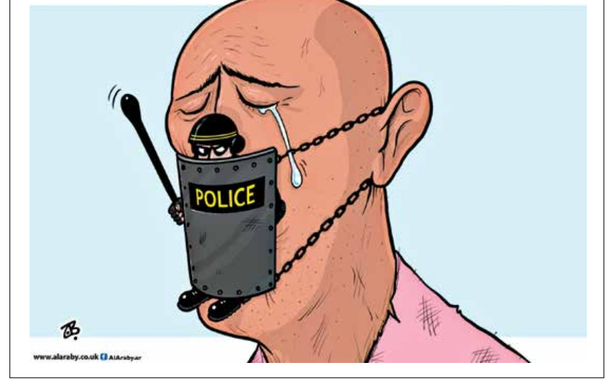

كاريكاتير **عماد حجاج**

الخروج من مِعطَف الخوف

عائشة بلحاج

«أوذّ لو أغادر، لكن ما من مكان أذهب إليه. وجودي ذاتُه هو الشيء الوحيد الذي له حدود مميّزة الآن». تقول بطلة رواية «الرّحالة»، للبولندية أولغا تشوكارتشوك، التي سبقت بقليل ما نعيشه من حصار منذ أشهر، وقدّمت لنا شخصية مسافرة في المكان، ليس باعتباره بقعةً من الجمال الإنساني أو الطبيعي، بل لكونه مساحةً تقع عليها قصصٌ أخرين، وتتصفّح فيها طرقهم، وتتقاطع عليها المسارات الإنسانية في بؤسها وصراعها من أجل القليل ما من مكان نهرب إليه من الخوف أو الواقع؛ إنّنا محاصرون حيث تبدأ وتنتهي حيواتنا الصغيرة، وتتكثّف في سعيها الدّؤوب إلى الهروب من العدوى، وتأخير ما بدا، في اللحظة التي انكشف فيها الوباء للإنسان، قدرا محتوما. بما أنّ التّقديرات الأوّلية أشارت في بداية انتشار كورونا إلى احتمال إصابة 80% من ساكنة الكوكب بالفيروس، لكنّها تراجعت عن هذه الخلاصة، عندما تسارعت العدوى وارتفعت أعداد الوفيات، وأصيب النّاس بالرّعب، إذ اضطرّت لإقناعهم بإمكانية السيطرة على الفيروس ومحاصرته، ليدخل معظم ساكنة الأرض إلى بيوتهم، منتظرين نهاية الوباء الذي لم يدُق الرّجيل في وقت قريب.

عاد النّاس إلى الانتشار في الأرض، ما دام الحجّر لم يكن مفيدًا. وعلى الرغم من الكمّامات ونصائح التّباعد، الكابوس مستمر، والنّاس متعبون إلى درجة أنّهم عادوا إلى حياتهم العادية، مع أنّ لا شيء كذلك. لذا شعرتُ بالغرابة، وأنا أخطط للخروج، أوّل أيام ما بعد الحجْر المنزلي، مع أنّ للضيف رائحة الوعود والأشياء التي تنتظرنا للاستمتاع بها، إلّا أن وجود فيروس بيننا وبينها يحبطنا، إلى جانب كل ما نعيشه من اختناق. فكّرتُ بدايةً في الاستمتاع بالمشي على كورنيش طنجة، لأوّل مرة منذ أكثر من ستّة أشهر. ولكن الذّهاب إلى هناك، بعد أشهر من الاحتياط الذي تخلى النّاس عنه بسرعة، مغامرة كبيرة، ففضّلتُ البقاء في البيت، والبحث عن تسلية داخلية، وتبنّي الحجر ال

فوكو وأزمة البحث عن الجرس المعلَّق

مهنا الحبيل

«يجدر بنا أن نطوّر أنماطاً جديدة من الخطابية، من خلال رفض هذا النوع من الفردانية التي فُرضت علينا لعدة قرون».. ميشيل فوكو. ويُعلق وائل حلاق على هذا النص: يرجع عدم تطوير فوكو لنظرية مفصلة عن قضايا المقاومة هذه إلى تركيز اهتماماته البحثية على قضايا أخرى.

أبرز ما يقفز على السطح في الاهتمامات البحثية التي انشغل بها ميشيل فوكو هو الحياة الجنسانية. لم يكن هذا المسار إطار اهتمام بحثي لفوكو فقط، ولكنه حسم هويته وأيديولوجيته الفكرية الأخيرة التي رحل وهو مؤمنٌ بها، والأهم أنها كانت الجذر الرئيس لتشكلات الهوية الجنسية، في ما بعده، والتي هيمنت على منصّات ثقافية عالمية، اكتسبت قوة السلطة الثقافية التي كان فوكو يعتبرها عائقاً للحرية المطلقة. ويُشير وائل حلاق هنا إلى خطأ بعض شرّاح فوكو، أن انشغالهم في هذه المسارات الفرعية التي ابتعدت أو انفصلت عن الفكرة الكليّة لفهم التشكلات الخطابية ساهمت في مناهضة الطرح الأصلي. والطرح الأصلي هنا النطاقية المركزية للحداثة المادية، وتأثيراتها على صناعة الثقافة العالمية، فمنذ صعودها ثم هيمنتها على المؤسسة الأكاديمية في الغرب، ثم توظيفها لتقلبات مصالح الرأسمالية الحديثة، ثم ترويجها كإكسير إنقاذ للبشرية، لا يمكن للمعرفة الإنسانية من أن تدرك وعيها المعاصر، ولا أن تحقق نقلة حداثة من دون الإيمان بهذه الكليات. هنا الحداثة المادية تشترط في أصلها وجذرها، تنحية الروح والأخلاق.

هذه الثنائية الشرطية، من المهم جداً فهمها لوعي مرحلة فوكو الأخيرة، وكيف انتهى من نقد السلطة السياسية والعقابية والقانونية إلى التسليم لسلطة النزوة، وبالتالي انتهت المذاهب الحديثة، وبالذات الحالة الجندرية المتطرّفة، إلى الالتحام في المنظور الحداثي المادي الذي جمعها من جديد مع التوحش الرأسمالي. تحتاج كتلة هذه الفكرة إلى شرح مركز، قد نتناوله في المستقبل، يضرب وائل حلاق المثل بجوديث باتلر، وكثيرين غيرها، لكن أولئك الآخرين، كما هي باتلر، انتقلوا من الأساس الأخير الذي حرّره فوكو، في تاريخ الجنسانية، ثم انفجرت قضية تعميم الجندر الذي وصلت إلى سُلطة عالمية قاهرة أُعلنت في مؤتمر بكين عام 1995، فانتقلت قوة السلطة في فرض الأيديولوجية الجندرية من الهيمنة في المؤسسات الثقافية الغربية، ثم السياسية والإعلام، وخصوصا حركة إنتاج الأفلام، إلى ترويجها عالمياً، تحت القهر أو الاشتراط الثقافي، على الشرق وكل العالم الجنوبي.

وأمامنا قبل المضي في مناقشة مصداقية المنظور العلمي لفوكو ومرجعيته، والعودة إلى قاعدة المعرفة والمبدأ الأخلاقي، لفهم أين اضطربت فلسفة فوكو، وما هي دوافعها المهمة جداً، مسألتان: الأولى أن الحركة الجندرية المتطرفة وثلاثياتها، القهر والحصار الفكري للأسرة الإنسانية، ونزعها من التسلسل الطبيعي الأخلاقي لبقاء الحياة، بما في ذلك حق المرأة الذاتية والتشاركية، وحصار الطفولة ووضعها مبكراً تحت التشكيك النفسي الحاد، لترويج مصالح الجنسانية الجندرية ونزواتها، وحصار فُرص التوالد. والاكتفاء بالعلاقة المثلية بديلا للأجيال القادمة، والثالث الإسقاط الشامل والنهائي، للعُرى الإنسانية المطلقة في علاقات المحارم، (الأقارب من الدرجة الأولى)، وتمكين سلطة النزوة لتحقق هيمنتها حتى على هذه الطبيعة الفطرية، المقدسة أخلاقيا بين البشر.

هذه هي الثلاثية المركزية التي تُرصد خلاصات نتيجتها على البشرية، حين يُستكمل الإطار الجندري، وسنشرح ذلك لاحقاً، وفق نظرية ميشيل فوكو ذاته، وهو ما يبرّر اتكاء من أتى بعده على تأصيله لها، بعد أن كان خطابه يدور حول السلطة التي تقمع الفكرة أمام المنظومة السياسية أو حتى المجتمعية، وبالتالي تفكيك موقع القوة من الخطاب، ولكنه انتقل بعد ذلك إلى المآل الأخير الذي اعتنقه قبل رحيله ودوّنه في تاريخ الجنسانية.

والمسار الأول الذي عنيناه بالتحديد قبل المناقشة هو جواب كيف تكون الجندرية المتطرّفة قوة قمعية أو سلطة رأي، قد تشكلت تحت هيمنة الحداثة المادية التي برزت أيضاً في مشروع الرأسمالية المحافظ أو الليبرالي،

> أبرز ما يقفز على السطح في الاهتمامات البحثية التي انشغل بها ميشيل فوكو هو الحياة الجنسانية

ثم توحش حتى أوصل العالم إلى ما وصل إليه، بل وارتدّت العنصريات داخل مجتمعات أسستها الدولة المدنية الحديثة، وعبر عقدها الاجتماعي.. والجواب هنا أن مركز الفكرة لم يتغير بين المسار الاقتصادي للحداثة المادية والمسار الاجتماعي لها. لقد خلقت تطورات الفكرة بعض النزاع الذي يحكم الفعاليات أو الأحزاب أو الأنشطة السياسية، والتي لا يُنكر أن بعض التدافع فيها، قد حقق منابر حقوق للأقليات، ومواجهة السلطة الأمنية أو السياسية على سبيل المثال.

غير أن كلا المسارين كانا يُغطيان على حرية المعرفة، وحق الرفض بالضبط كما قال فوكو، رفض من نحن، فالأنا الجندرية والأنا الرسمالية، حاصرت حق الفطرة والكرامة الإنسانية، وقد تطوّرت اليوم إلى التحريض الممنهج، على المجتمعات الرافضة للتطرّف الجندري، والمتمسكة بقيمها الأخلاقية، والقلقة من معادلة فوكو في بسط سلطة النزوة، وإن جهلت المصدر.

أما المسار الثاني، فهو الدين عند المحافظين الغربيين، كمواجهة للجندر، وهذه حقيقة أن المنظومة الدينية في الغرب، في جزء منها، تقاوم بسط هذه الحركة نفوذها، لكن هذا الدين في ذاته يخضع لمعادلة الرأسمالية الجديدة التي قد نقربها بالظاهرة (الترامبية)، كسلوك خلق مسرحه الحداثة المادية. وهي منظومة صراع، لم تساعد مطلقا الإنسانية المستقلة الحرة، وخصوصا في عالم الجنوب، بل العكس، فهذه الرأسمالية، حتى مع ضلعها الديني، تدعم القوة الجندرية في الأمم المتحدة، وفي وزارة الخارجية الأميركية، على بسط مفاهيمها ضد الشعوب وحريتها المعرفية. هنا يبرز مسار متصل ودقيق، وهو تضليلي بامتياز، وهو بساطة تنميط كل معارض للتطرّف الجندري، بأنه مؤيد أو متساهل مع العنف الذكوري، أو حقوق المرأة أو المساواة في الدخل، وهذا غير صحيح، فالحركة النسائية ذاتها، بوصفها إطارا نضاليا حقوقيا، تؤمن بثنائية التمتع بالحق المشترك، وخصوصية الأنوثة والعاطفة الفطرية للمرأة، هي اليوم من ضحايا التطرّف الجندري، ومؤسساته المدعومة دولياً ومحلياً.

(كاتب عربي في كندا)

عشرون عاماً سورياً... واكتمل الخراب

عمار ديوب

مضى على حكم الرئيس بشار الأسد في سورية عشرون عاماً. قضى العشريّة الأولى في تحويل بنية الدولة لتصبح ليبراليةً في الاقتصاد، وتظلّل استبدادية في السياسة، ولصالح الفئات الطفيلية المرتبطة بالسلطة تاريخيّاً. العشريّة الثانية نتاج الأولى، حيث انهار الاقتصاد العام، وتلاشى الوعي الاشتراكي والقومي، وأصبحت بنى المجتمع طوائف وعشائر، وتقومن الأكراد، وتقلصت القيم الإيجابية. وأدّى هذا إلى بداية انفجار اجتماعيٍّ كبير، تلا ثوراتٍ عربيّة، ومناخٍ إقليميٍّ، يفتح الأفق نحو تغييرٍ كبير في بنى الأنظمة، وتوجهاتها.

بعيداً عن الركاكة، وأيّ إصلاح هو الأدقّ في سورية في عام 2000 وما بعده، حيث تمحور النقاش: أنبدأ بالاقتصادي أم الإداري أو السياسي، فإن النتيجة، وقد بُدِئ باللبرلة، كانت انهيار حياة الأغلبية. بعد 2011، انتصر الخيار الأمني، في مواجهة المجتمع، وضد فئاتٍ في السلطة، راغبةٍ بالتغيير، «خلية الأزمة» وسواها، وكما تبدى أخيرا عبر التضييق على التجار، ومن أثرى في سنوات الحرب، ووصل البلّ إلى الذقن، أي إلى رامي مخلوف، والذي، شُلّح أغلبية مؤسّساته داخل سورية. وربما، ولولا حمايةٍ من روسيا لتمّت تصفيته، وهذا متروك للمستقبل، حيث أصبحت سورية، نظاماً ومعارضة، مرهونةً للدول الخارجية.

مكّنَ نفسه جيداً بشار الأسد، وعبر روسيا وإيران في العشرية الأخيرة، ولكن ذلك ليس نهاية المطاف؛ فالتسوية لم تبدأ بعد، والسيئ أن ضعف نظامه يجعله ورقةً بيد تلكما الدولتين، والدول ليست جمعيات خيرية في النهاية! وعالمياً وإقليمياً، هناك صراع جاد حول بقائه أو تغييره. وفي أفضل الأحوال نزع أغلب الصلاحيات منه، في حال أُتُفِقَ على تسويةٍ، تتضمن بقاءه.

لم يستثن فيروس كورونا سورية، وإذا واجهه النظام بحزم في الشتاء، فإنّه رعى انتشاره في الصيف، كما يبدو. تكاثرت أعداد المصابين، ولم يعمد إلى أيّ حجر أو حظر، وهذا ساهم في انتشاره في كلّ مدن سورية المحتلة، غرباً وشمالاً وشرقاً وجنوباً. أسباب كثيرة لموقفه الصيفي هذا؛ ربما يكون السبب معرفته بعدم قدرة الشعب على البقاء من دون عمل، حيث أوضاعهم الاقتصادية منهارة أو استيراد أجهزة طبية للكشف، وتخصيصها ببعض الطفيليين، وهذا سيشكل سيلا ماليا للأعوان وللسلطة. وربما يشكل انتشار الفيروس ورقة ضاغطة على الأمم المتحدة أو منظمة الصحة العالمية وسواهما، لتقديم المساعدات، المتعدّدة الأشكال، والنظام أحوج إليها. ما نعرفه جيداً أن الدول تسعى جاهدة لتطويق هذا الوباء، بينما الدولة السورية تتركه ينتشر، وبذلك يكتمل فشلها، حيث أصبح عاماً، والحمد لله.

على الرغم من هروب ملايين السوريين إلى الخارج، ووجود مئات آلاف في المخيمات، وتراجع مختلف أشكال الإنتاج، وانتشار فيروس كورونا، فقد أجرى النظام الانتخابات التشريعية في مجتمعه المتجانس، وبالتالي لم ينتخب قرابة نصف الشعب السوري فيها، ولم يحاول إشراكه بطريقةٍ ما، ورفضت قوات سوريا الديمقراطية (قسد) أن تجري الانتخابات في الحسكة ودير الزور والرقة، وفي إدلب لم تجر كذلك، وأيضاً في المناطق التي تسيطر عليها تركيا؛ على الرغم من ذلك كله، تحدث موالون كثر عن الفساد في الانتخابات، وعدم شرعيتها! الانتخابات هذه ندّدت بها دول كثيرة، وبالكاد أبدت موسكو تعليقاً عليها، وهو بين رفض وقبول شكليٍّ فيها، حيث تُكرّر «ثرثرتها» بأنّه نظام شرعي، وعليه أن يُحدّثُ مؤسساته!

التحذيرات الإسرائيلية والأميركية من الاستمرار بالعلاقة مع إيران لم تتوقف منذ 2011. وعلى الرغم من ذلك وَقّعَ اتفاقا عسكريا شاملا مع إيران، وينص على إقامة نظام دفاع جوي إيراني. وهذا ما دفع إسرائيل إلى تصعيدٍ أكبر، شمل في الأسبوع الأخير مواقع عسكرية كثيرة، إيرانية وسورية. عدا التحذيرات، هناك ما يشبه الإجماع الدولي والإقليمي أن إيران يجب أن تخرج من سورية؛ يضاف إلى ذلك تطبيق قانون قيصر. هي عوامل عديدة إذاً، وتؤكد ضرورة أن يصحو النظام السوري من السكرة الإيرانية، ويتعقّل، ويرى مصيره الذي سيقرّر في أيّة تسويةٍ مستقبلية، ولن تكون لصالح شخصيات أساسية فيه. ولكن عبثاً؛ هو بذلك، لا يُفرّط بالشعب وببعض تيارات في السلطة فحسب، بل وبذاته كذلك؛ إنّها الحماقة.

> بعد عشرين عاماً من سلطة الأسد الابن، تتجه سورية نحو مزيد من التشظي والخَراب والدمار

ثمّة احتلالات عدّة، وتحتل سورية بأكملها، والمشكلة في غياب التوافق بينها، ورغبة كل منها في ترسيم مناطق نفوذها وتعزيزه باعتبارها أوراق ضغطٍ إلى حين التسوية. الأسوأ أن روسيا التي هناك إجماع، إلى هذه اللحظة، أن سورية من نصيبها، لم تع بعد أن من أكبر أخطائها ربط احتلالها سورية بتسوياتٍ عالمية، ومنها أخيرا الوضع المفتوح في ليبيا.

سمح الوضع المتأزم في سورية، والمعقد، لتركيا بإرسال آلاف المقاتلين السوريين إلى ليبيا، وهناك تقارير تؤكد إرسال روسيا مقاتلين سوريين إلى البلد ذاته. الأسوأ من هذا وذاك أن لا وطنيّة حقيقية في سوريّة ترفض أحوال بلادها. وأمّا استجابة الوطنيين السوريين، وقد أصبحوا فئات هامشية، فهي متدنية إزاء كارثية الوضع الذي وصل إلى الاستنقاع، ومنه الارتزاق؛ سورية بحالتها المعقدة أعلاه، وبعد عشرين عاما من سلطة الاسد الابن، تتجه نحو مزيدٍ من التشظي والخراب والدمار وتمكين الاحتلالات منها، سيما الروس.

(كاتب سوري)

اتحاد أوروبي جديد

عبد الصمد بن شريف

تاريخيا، اتسمت مختلف المحطات المفصلية، والخطوات والإنجازات الكبرى في مسيرة بناء منظومة الاتحاد الأوروبي، وتطويرها وتقويتها، بالألم والمكابدة والمعاناة، وتقديم التنازلات المتبادلة، والجدل البناء والناجع. وهذا ما ينسحب على الاتفاق غير المسبوق الذي توصل إليه قادة الدول 27 المكونة للاتحاد يوم 21 يوليو/ تموز الحالي، بعد أربعة أيام من النقاش الطويل والمتشعب والمفاوضات الشاقة والمرافعات المضنية. ويتمحور الاتفاق حول إقرار خطة وصفت بالتاريخية، بمبلغ قيمته 750 مليار يورو للنهوض بالاقتصادات الأوروبية التي تعرّضت لهزة مثيرة للقلق بسبب تداعيات أزمة فيروس كورونا المستجد، وتتضمن الخطة لأول مرة ديوناً مشتركة، من 360 مليار يورو على شكل قروض و390 مليار يورو على شكل مساعدات.

وفي اجتماع مباشر منذ منع التجمعات في شهر مارس/ آذار الماضي، بسبب جائحة كورونا، التقى قادة الاتحاد الأوروبي وجها لوجه في بروكسل، لأول مرة، في قمة استثنائية لتسجيل منعطفٍ أساسيٍّ، ينطوي على دلالة عميقة من مختلف النواحي والمستويات. وكانوا يدركون جيدا أنهم سيخوضون معركة مفاوضات عسيرة ومعقدة ومصيرية بكل المقاييس، بشأن خطة الإنعاش الاقتصادي التي اقترحت آلية فعالة لمساعد الدول الأعضاء في الاتحاد، وخصوصا الدول التي انهارت بشكل دراماتيكي في عز تفشي وباء كوفيد – 19، كإيطاليا وإسبانيا.

كانت هناك خلافات جوهرية بين مؤيدي الخطة التي ينبغي أن تستفيد منها دول الجنوب، وفي مقدمتها إيطاليا وإسبانيا، ويقود هذه الجبهة الثنائي الألماني الفرنسي، والدول الملتزمة بأسس الميزانية الأوروبية، المعروفة باسم الدول «المقتصدة»، وهي بلدان الشمال الأوروبي، وتقودها هولندا، ودعت هذه المجموعة إلى خفض المساعدات، وأيدت منح قروض تعيد الدول تسديدها لاحقا. كما طالبت لقاء أي مبالغ مالية بإصلاحات في الدول المستفيدة منها. غير أن دول الجنوب توجست من هذه المطالب التي رأت فيها سيفا موضوعا على رقابها، خشية أن تضطر إلى الخضوع لخطط تفرضها دول أخرى، مثلما حصل لليونان في أعقاب الأزمة المالية العالمية سنة 2008، ما أرغم سكانها على تقديم تضحياتٍ صعبة. وأبدى رئيس وزراء هولندا، مارك روتي، مدعوما بقادة الدول الاسكندنافية والنمسا وفنلندا، مقاومة شرسة للخطة التي تعد ثمرة توافق بين المستشارة الألمانية، أنغيلا ميركل، والرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، الذي وصفها بأنها «لحظة الحقيقة والطموح بالنسبة لأوروبا، واللحظة الأكثر أهمية بعد إقرار العمل بالعملة الموحدة اليورو، بموجب معاهدة ماستريخت سنة 1992».

الأساسي في استقراء هذا الإنجاز هو قوة (وسلطة) الإرادة الجماعية التي مكنت قادة أكبر تجمع تجاري عالمي من رسم ملامح جديدة ووضع أسس أكثر صلابة ومرونة، وبلورة استراتيجية مالية واقتصادية قادرة على مجابهة التحديات الكبرى، واحتواء تداعيات الأزمات البنيوية، من قبيل الأزمة الخطيرة التي أحدثتها جائحة كوفيد 19. كما أن هذه الإرادة الجماعية، وعلى الرغم من وجود حساسيات بين شمال القارّة الأوروبية وجنوبها تنم عن وعي تاريخي بضرورة الانخراط في صياغة خريطة جيوسياسية جديدة، بهدف التموقع المربح والجيد في الأسواق العالمية التي تريد الولايات المتحدة والصين، بشكل رئيسي، وروسيا بشكل ثانوي، الاستئثار بها، والتحكّم في مفاصلها الحيوية. وجعل الاقتصادات الأوروبية أكثر تنافسيةً وقدرة على التصدّي للعواصف والهزّات التي قد تنتج بصورة غير متوقعة، كما حدث مع جائحة كوفيد 19 التي كادت، في المراحل الأولى لتفشيها، أن تفضي إلى تفكك الاتحاد الأوروبي وسحب الثقة من مؤسساته، بسبب انتصار خيارات الإنعزال والوطنيات المنغلقة. وبدا أن شعوب دول، مثل إيطاليا وإسبانيا، شعرت بالغبن واليُتم، عندما تركت وحيدةً لتواجه مصيرها، وزاد من فداحة هذا الشعور وتفاقمه تدفق مساعدات طبية من الصين وكوبا وروسيا، ما عزّز لدى قادة كثيرين إمكانية انفراط عقد الاتحاد الأوروبي، وتغذية النزعات الاستقلالية، وحتى الانفصالية.

> دول الاتحاد الأوروبي تحدوها اليوم، أكثر من أي وقت مضى، رغبة قوية لمواصلة المسار جماعياً

وأجمعت التقارير الإخبارية واستنتاجات الخبراء والمحللين على أن رؤساء الدول والحكومات الأوروبية نجحوا، بكيفية باهرة ونادرة، في تجاوز مرحلة أساسية من التردّد والتوجس والخوف نحو أوروبا أكثر فيدرالية، ومتكاملة ومندمجة أكثر فأكثر، بفضل التوافقات والتفاهمات التي فرضت نفسها ضرورة حتمية، للحفاظ على وحدة الاتحاد، والبرهنة على أنه سيظل قوة اقتصادية وجيوسياسية يُحسب لها ألف حساب، على الرغم من توالي سلسلة من الأزمات الصعبة، وخصوصا المرتبطة بانسحاب بريطانيا من هذه المنظومة أواخر يناير/ كانون الثاني 2020.

عندما عاد رئيس الحكومة الإسبانية، بيدرو سانشيز، إلى بلاده، بعد أن حصل على مساعدة بقيمة 40 ملياراً استقبل بالتصفيق الحار من أعضاء حكومته، وهو الذي قال، بعد انفضاض القمة التاريخية، «إن ما حصل مخطط مارشال حقيقي»، لكنه هذه المرّة مخطط أوروبي بكل ما تعنيه الكلمة، ما يفسر أن دول الاتحاد الأوروبي تحدوها اليوم أكثر من أي وقت مضى، رغبة قوية لمواصلة المسار جماعيا وبشكل مشترك، لأن هذا الاتفاق، وبصرف النظر عن الحيثيات المرتبطة بتطبيق بنوده وإجراءاته على أرض الواقع، فهو عقد مشترك يهم الجميع، ويلزم الدول الأعضاء 30 عاما.

(كاتب وإعلامي مغربي)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير **حسام كنفاني** ▪ مدير التحرير **ارنست خوري** ▪ المدير الفني **إميل منعم** ▪ سكرتير التحرير **حكيم عنكر** ▪ السياسة **جمانة فرحات** ▪ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ▪ الثقافة **نجوان درويش** ▪ منوعات **ليال حداد** ▪ الرأي **معن البياري** ▪ المجتمع **يوسف حاج علي** ▪ الرياضة **نبيل التليلي** ▪ تحقيقات **محمد عزام** ▪ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
▪ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
▪ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600

▪ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
▪ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
▪ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
▪ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads